



جامعة الفيوم
كلية الآداب
قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

الثورة في ضوء "نظرية الإنعكاس" لـ لوكاش ومفهوم
"السُّلطة" عند فوكو: دراسة آليات المقاومة في روايات
عربية وأمريكية مختارة

رساله مقدمه للحصول علي درجة الدكتوراه في الآداب

مقدمة إلي :

قسم اللغة الإنجليزية وآدابها
كلية الآداب - جامعة الفيوم

إعداد الباحثة :

أمل جلال مُحمَّد مرسى

تحت إشراف :

د/ أحمد محمد عبد السلام
أستاذ الأدب الإنجليزي المساعد
كلية الآداب
جامعة الفيوم

أ. د / محمد محمد عناني
أستاذ الأدب الإنجليزي
كلية الآداب
جامعة القاهرة

ملخص البحث

يذخر التاريخ البشري بالعديد من قصص الظلم من أرتبط ذكروهم بالظلم والقهر والابتداد بيد أن هذه القصص جميعاً تتحد في نهايتها . فمهما طالت الأحداث والسنوات فالنهاية دائماً هي القضاء علي الطواغيت سواء أكانوا فراداً أم جماعات، حكماً أم مستعمرين ولعل قصة فرعون مصر - التي ورد ذكرها في القرآن الكريم - ونهايته غرقاً خير دليل علي ذلك ومن الإعجاز القرآني أنه لم يذكر اسم هذا الفرعون ليظل رمزاً لكل طاغية ولتظل نهايته عبرةً إلي يوم القيامة - كما قال الله تعالي ليفي محكم كتلتبج الكيليم : بِبَدَدَ نِكَ لَتَكُون لِمَن خَلَفَكَ آيَة" (يونس ٩٢).

وإذا كان الظلم والاستبداد جنديين من جنود أي طاغية أو مستعمر ، فتور دوماً هي سلاح النفوس الأبية التي ترفض الخضوع أو الاستسلام . ولعل الأحداث السياسية المتلاحقة التي شهدتها عالمنا العربي خلال الآونة الأخيرة والتي أطلق عليها "الربيع العربي" تشهد أن الثورة هي صوت الحق الذي جاء مدوياً لإصلاح ما أفسده الاستبداد لسنوات طوال ، غير أن مفهوم الثورة ليس بالمفهوم الجديد حيث تمتد جذوره إلي العصور القديمة، فما من أمة إلا وقد شهدت حراكاً للتغيير ونيل الحرية، وتاريخ العالم الإنساني يذخر بالعديد من الأمثلة التي تثبت ألفتها و جد طاغية و جد تائر وأينما و جد الباطل و جد صوت الحق ليووجهة ، وهو ما تحاول هذه الدراسة إيضاحه من خلال عقد مقارنة بين المجتمعات العربية والأمريكية استناداً إلي رؤية نقدية ممثلة في "نظرية الانعكاس" *Reflection Theory* للفيلسوف المجري والناقد الماركسي جورج لوكاتش *Georg Lukács* (1885-1971) و مفهوم لسة لطة" للفيلسوف والناقد الفرنسي الماركسي ميشيل فوكو *Michel Foucault* (1926-1984)، فضلاً عن الرؤية الأدبية.

إن العلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة راسخة علي مر العصور والأزمنة، فالفن يسهم إلي قدر كبير في تنمية الحس الجمالي للفرد وتطوير مواهبه وإدراكه

لذاته، وتظهر أهمية هذه العلاقة المتبادلة بين الأدب والمجتمع خلال الفترات التاريخية الحاسمة والتحويلات الاجتماعية الكبيرة التي يمر بها أي مجتمع ، والأدب المقصود هنا هو الأدب الروائي فلقد لعب الروائيون دوراً هاماً عبر التاريخ العربي والأمريكي في رسم كفاح شعوبهم لنيل الحرية ، فضلاً عن رصد كافة التغيرات السياسية والاجتماعية التي تطرأ علي مجتمع كل منهم ، فالأديب هو مرآة مجتمعه ، وهذا ما تؤكدته الحركة النقدية المسماة "بالواقعية" ، وهو ما جعل المفكرين يسعون إلي ربط علم الاجتماع بالأدب ، وأثمرت جهودهم بما يُعرف باسم "علم اجتماع الأدب" إيماناً منهم بالعلاقة الوثيقة والوطيدة بين الواقع أو المجتمع وبين الأدب.

وإذا كان المؤرخ يقوم برصد وتسجيل الأحداث التاريخية كالنثرات والحروب، وعالم الاجتماع يسعى إلي رصد وتحليل أثر هذه الأحداث التاريخية علي المجتمع وما يترتب عليها من تغيرات ، فدور الأديب لا يقل أهمية عن هذين ، فهو يقوم برسم الشخصيات التي تجسد كفاح هذا الشعب خلال تلك الفترات التاريخية، كما أنه يرصد التغيرات الاجتماعية ، وذلك في إطار فني إبداعي تروق له النفس ، بل إن هناك الكثير من الأعمال الأدبية التي كانت دافعاً للكثير من الحركات التحررية ، فأقل ما يمكن أن يستلهمه المرء من العمل الأدبي إن لم يكن ثورة علي المستوى السياسي المعروف ، هو الثورة علي النفس وما تكنه من مشاعر السلبية والإذعان للواقع المرير ، فالمرء يجد نفسه من خلال الشخصية الروائية ، فإن كانت شخصية بطولية تمنى لو كان مثلها، وإن كانت شخصية مقهورة ضعيفة ساعده ذلك علي السعي لتغيير واقعه حتي لا يقع ضحية للأوضاع السلطوية المفروضة ، فالهدف الذي يسعى من أجله الأديب ليس فقط إمتاع القارئ بالرغم من مشروعية ذلك أيضاً ١ - بل تبصيره بواقعه وبمشكلاته حتي يتسني له تحدي ذلك الواقع وإدراك ذاته ، وهو الهدف الذي يرنو إليه كل من لوكاتش وفوكو من خلال آرائهم النقدية .

لذا تهدف هذه الدراسة إلي إظهار العلاقة الراسخة بين الأدب والواقع المجتمعي من خلال التحليل النقدي لبعض الروايات المختارة من الثقافة العربية والثقافة الأمريكية بهدف الوقوف علي قدرة تلك الأعمال علي التعبير عن الواقع المجتمعي خلال الثورات أو الأحداث التاريخية الحاسمة ، ومعرفة هل يتوقف دور الكاتب علي مجرد رسم صورة للواقع أم أن خياله قد يسبق ذلك الواقع ليتحول بإبداعه إلي مٌلهمٍ ، كما تهدف الدراسة الحالية أيضا إلي التحقق من مدى تمثيل شخصيات الأعمال الروائية المٌختارة للطبقات الاجتماعية والفئات المختلفة داخل المجتمع ودورها في تبصير القارئ بواقعة ، وإلي أي مدى قدمت تلك الشخصيات نموذجاً يُقتدي به لتحقيق الذات ومقاومة كافة أشكال الظلم لطة القمعية التي تقف بين المرء وتحقيقه لذاته ، ومعرفة قدراته واستثمارها علي النحو الذي يسهم في قُدُ م المجتمع وتحقيق العدالة بين أفرادها ، وذلك في ضوء نظرية الانعكاس لـ لوكتاش ومفهوم السُ لطة لـ فوكو.

إن مفهوم الانعكاس *Reflection* ليس بالمفهوم الجديد في الفكر الفلسفي حيث تمتد جذوره إلي العديد من المذاهب الفلسفية التي أضفت علي هذا المفهوم طابعها الخاص بدءاً من آراء الفلاسفة اليونانيين مثل أفلاطون وأرسطو عن "المحاكاة" *imitation or Mimesis* ولورور ١٩٠٠ بالقرن التاسع عشر من خلال أعمال كلٍّ من مدام دي ستايل *Madame de Staël* (١٧٦٦-١٨١٧) و هيبوليت تين *Hippolyte Adolphe Taine* (١٨٢٨ - ١٨٩٣) و جورج هيغل *Georg Hegel* (١٧٧٠-١٨٣١) ، غير أن تطور هذا المفهوم شهد اهتماماً ملحوظاً من قبل الماركسية إلي أن بلغ أوج تطوره من خلال أعمال لوكتاش ، وفي الواقع فإن أفكار لوكتاش تقدم دلالة واضحة علي إيمانه الشديد بالعلاقة الراسخة بين الأدب والواقع الاجتماعي ، ولعل تلك القناعة الفلسفية هي التي جعلته يرى أن الواقعية *Realism* هي أساس كافة الآداب والفنون . فالإنسان - من وجهة نظر لوكتاش - هو محور أي عمل أدبي ، والأدب الحقيقي

هو الذي يعكس ما تتطوي عليه المجتمعات من صراعات وتناقضات ، كما أنه يسهم في زيادة وعي الفرد بذاته وقدراته حتي يتسني له التغلب علي ما يعانیه من اغتراب alienation وعزلة داخل مجتمعه ،لذا يرى لوكاتش أن الواقعية تمثل نظريته عن الانعكاس تمثيلاً تاماً^١ .

ولعل تميز نظرية الانعكاس عند لوكاتش يرجع إلي رفضه التام أن يكون دور الكاتب هو تقديم صورة فوتوغرافية للواقع - أو ما يسميه لوكاتش "بالانعكاس الآلي" - علي النحو الذي اعتاده الوضعيون Positivists و الطبيعيون Naturalists. فالانعكاس عند لوكاتش يعتمد علي رؤية الكاتب الناتجة من خبرة المباشرة وغير مباشرة مع الواقع ، وقد تكون رؤية الأدبية من وحي خياله غير أنها مستوحاة من خبرات مستمدة من الواقع ، ويهدف الكاتب من خلالها إلي إثارة الوعي تجاه أزمة من الأزمات أو ظاهرة من الظواهر الاجتماعية والسياسية داخل المجتمع ، والأهم من ذلك هو أن الكاتب عند التعبير عن رؤيته هذه يجب أن يتسم بالموضوعية ، والموضوعية Objectivity عند لوكاتش ليست بالمعني المتعارف عليه بالعلوم الطبيعية ، ولكنها تعني الشمولية Totality والتعبير عن الجوهر الكلي للكيان الإنساني ، فالعالم يهدف من خلال دراسته لتفاصيل وجزئيات ظاهرة من الظواهر للتوصل - من خلال الملاحظة والاستقراء والتجريب - إلي قانون عام للتحكم في تلك الظاهرة والظواهر الأخرى المشابهة لها ، أما الكاتب الواقعي الحقيقي فهو الذي يركز دائماً علي الجوهر الكلي للواقع Social Totality ولا تسترعيه التفاصيل .

فالقن أو الأدب - من وجهة نظر لوكاتش - ذو طبيعة خاصة وله عالمه الخاص المستقل وهذا العالم المستقل ما هو إلا صورة مصغرة من العالم الإنساني بما ينطوي عليه من تناقضات وصراعات ؛ لذا فالكاتب - عند لوكاتش - يقوم بدور الوسيط بين العمل الجمالي Aesthetic والواقع ، والكاتب الحقيقي هو الذي يمتلك القدرة علي تجسيد شخصياته خلال صراعاتها مع ذلك الواقع وسعيها

نحو التغيير وإدراك الذات - وهو ما أشار إليه لوكاتش من خلالة نظريته عن النمط *The Type*. فالنمط أو الشخصية النمطية هي الشخصية الرئيسة في العمل الأدبي ، وهي التي تمثل جميع الفئات الموجودة بالواقع الاجتماعي في صراعاتها ومعاناتها دون أن يفرض الكاتب رؤيته أو موقفه السياسي أو الاجتماعي علي تلك الشخصية حتي يتسم بالموضوعية ، وهي السمة التي جعلته يشيد بالكاتب أونرية بلزاك *Honoré de Balzac* لالتزامه بتلك الموضوعية وعدم فرض آرائه عند رسم شخصياته النمطية.

والشخصية النمطية شخصية متنوعة فلا يشترط أن تكون إيجابية ، فمن الممكن أن تكون شخصية سلبية ، فالأهم عند لوكاتش هو أن تتسم هذه الشخصية بالوعي الذاتي، فوظيفة الأدب - من وجهة نظر لوكاتش - ليست تعليمية *didactic* ، فالأدب وسيلة لتحقيق غاية أسمى ألا وهي وعي الفرد بذاته ، وإدراكه لقدراته ، والمساهمة في تغيير واقعة ، والقدرة علي التغلب علي التشيؤ *Reification* و الاغتراب *Alienation* ، وغيرها من الآفات المجتمعية التي أنتجتها الرأسمالية ، فمهمة الكاتب - إذن - هي أن يستحضر هذا الواقع أمام القارئ بموضوعية دون فرض آرائه علي محتوى العمل الأدبي أو شخصياته مما يمكن القارئ من رؤية شخصيات تمثله رؤية تعبر عن مشكلاته وطموحاته وأحلامه فزيداد وعياً بذاته وقدراته والدور المنوط به لإحداث التغيير المطلوب للنهوض بذاته وبمجتمعه - وهو الهدف الذي طالما سعت اليه الآداب والفنون علي مر العصور ، وجاء لوكاتش ليؤكد عليه من خلال نظريته عن الانعكاس حتي وإن اختلف أو تميز نهجه عن سابقه ، وهو الهدف الذي من أجله صاغ الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو آراءه عن السلطة.

يُعد مفهوم السُلطة من الموضوعات المحورية في كتابات الكاتب والفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو (١٩٢٦ - ١٩٨٤)، ولعل السبب وراء ذلك يرجع إلي طبيعة فوكو الثورية ، تلك الطبيعة التي جعلت منه مناهضاً لكافة أشكال

القهر وكبت الحريات. ولقد حاول فوكو من خلال كتاباتهن السُّلطة أن يُحرر العقل البشري من المفهوم التقليدي عن السلطة بأنها تلك الوسيلة التي يملكها فرد أو جماعة بعينها مما يعطي له / لهم الحق في فرض رغباتهم وآرائهم علي الآخرين علي النحو الذي تُعزز به مصالحهم وأهدافهم الخاصة، وهو المفهوم الذي ظل مطبقاً علي العقل البشري طوال قرون من الزمان ؛ لذا يري فوكو أنه لكي يتمتع الفرد بالحرية يجب أن يتحرر من كائناً السُّلطة المفروضة فالسُّلطة عند فوكو هي سُّلطة نابعة من الفرد وليست مفروضة عليه ، وهو الأمر الذي جعله يؤكد علي ارتباط الوثيق بين السُّلطة بمفهومها البناء النابعة من الفرد وبين مفهوم المُقاومة Resistance أو الثورة. ويرى فوكو أن الثورة Revolution يجب أن تكون شاملة المجتمع ككل وذلك لإيمانه الشديد بأن تلك الشمولية منبعها شمولية السُّلطة ذاتها ، فهناك علاقة السلطة بين الآباء والأبناء داخل الأسرة وبين المعلمين والطلاب بالمدارس والجامعات وبين الطبيب ومرضاه بالمستشفيات ... الخ ، وهو ما جعله يؤكد أيضاً علي العلاقة الراسخة بين السُّلطة والمعرفة ، أو ما أسماه *Power-Knowledge relationship* . ولقد تم تطبيق المذهبين النقديين علي الثورات والحركات التحررية التي شهدها المجتمع العربي - ممثلاً في المجتمع المصري والمجتمع الفلسطيني - والمجتمع الأمريكي والمجتمع الأفرو- أمريكي .

وتكون الدراسة الحالية من مقدمة وستة فصول وخاتمة - علي النحو

التالي:

مقدمة:

وتتضمن بعض التعريفات الخاصة بمصطلح "الثورة" ، فضلاً عن التعريف - الموجز - بنظرية "الانعكاس" لـ جورج لوكاتش و مفهوم السُّلطة لميشيل فوكو، إلي جانب لمحة تاريخية عامة عن أهم الثورات التي شهدها العالم العربي -

متمثلاً في المجتمع المصري والمجتمع الفلسطيني - والعالم الأمريكي ونظيرة الأفروأمريكي ، مع الإشارة إلي الأعمال الروائية المٌختارة.

الفصل الأول:

ليست محاكاةً فحسب : العلاقة بين الأدب والواقع الاجتماعي في ضوء نظرية الانعكاس لـ جورج لوكاتش" : يتناول هذا الفصل نظرية "الانعكاس" لـ جورج لوكاتش وجذور مفهوم الانعكاس وتطوره عبر العصور، و العوامل المؤثرة علي صياغة لوكاتش لهذه النظرية وأوجه التشابه والاختلاف بينة وبين سابقيه ، وردود الأفعال تجاه آرائه.

الفصل الثاني:

"الأكثر جدلاً وتأثيراً ميشيل فوكو ومفهومة عن السُّلطة"

يستعرض هذا الفصل العوامل المؤثرة علي نشأة مفهوم السلطة عند ميشيل فوكو فضلا عن أشكال السلطة التي تطرق إليها في كتاباته ، والفرق بين هذا المفهوم والمفاهيم السابقة عن السلطة .

الفصل الثالث :

" الثورات المصرية بين الانعكاس والتنبؤ "

يلقي هذا الفصل الضوء علي أهم الثورات التي عرفها المصريون خاصة خلال العصر الحديث والمعاصر ، متمثلة في ثورة ١٩١٩ و ثورة يوليو ١٩٥٢ و ثورة يناير ٢٠١١ - مع توضيح كيفية تجسيد تلك الثورات في الأعمال الإبداعية الروائية ودور الكاتب في تجسيد الأشكال المختلفة للسلطة سواء بين الأفراد أو طبقات المجتمع ، وكيف أن عمق الإحساس بالواقع المحيط قد يُلهم الكاتب بتوقع الثورة قبل حدوثها فلقد تنوعت الأعمال الروائية التي تناولت الثورات المصرية ما بين الانعكاس والإلهام ، وهو ما سيحاول هذا الفصل إيضاحه من خلال رواية "بين القصرين" لـ نجيب محفوظ ، و "د قلبي" لـ يوسف السباعي ، و "أجنحة الفراشة" لـ محمد سلاموي ، وذلك في ضوء نظرية الانعكاس لـ جورج لوكانش ومفهوم السلطة لـ ميشيل فوكو .

الفصل الرابع:

"إنها فلسطين ... رغم كل شيء": الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي بين الرثاء والسخرية"

يتناول هذا الفصل تاريخ الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين والنضال الدؤوب للفلسطينيين لمقاومة الممارسات السلطوية القمعية الإسرائيلية والتضحيات المبذولة لنيل الحرية ، وأثر ذلك علي الرواية الفلسطينية وكيف استطاع الكاتب الفلسطينيون مقاومة الكيان الصهيوني باستخدام الشجب والتنديد تارة ، والسخرية والفكاهة تارة أخرى ، وذلك من خلال روايتي "بينما ينام العالم" لـ سوزان أبو الهوي ، و "شارون وحماتي" لـ سعاد العامري .

الفصل الخامس:

الثورة الأمريكية بين التاريخ والواقع

يتناول هذا الفصل الثورة الأمريكية التي قامت بها المستعمرات الأمريكية في القرن الثامن عشر بهدف الاستقلال عن بريطانيا العظمى عقب سلسلة من الإجراءات والقوانين التعسفية والضرائب التي فُرضت علي تلك المستعمرات في ذلك الوقت حتي تكنت تلك المستعمرات من نيل حريتها واستقلالها. والأعمال المختارة لهذا الفصل هي "النهوض للثورة" و"الهدف النبيل" لـ جيف شارا. كما يتناول الفصل التغيرات التي طرأت علي المجتمع وأحدثت شقاقاً اجتماعياً بين جناباته وذلك من خلال رواية "عناقيد الغضب" لـ جون ستينبيك.

الفصل السادس:

"أكون أو لا أكون": الأمريكي الأسود بين اللاهوية وإدراك الذات

ويتناول هذا الفصل أحد أهم الممارسات السلطوية والآفات المجتمعية بالمجتمع الأمريكي عبر العصور ألا وهي العنصرية ، مع إعطاء لمحة تاريخية عن كفاح الأمريكيين من أصل أفريقي عبر العصور لنيل الحرية وإلغاء العبودية التي لطالما استهدفت محو هوية أفراد مجتمع السود علي النحو الذي عبر عنه رالف إليسون في رائعته " الرجل الخفي". كما يتطرق الفصل إلي شعور بعض الكُتاب الأمريكيين بمعاناة السود تحت وطأة العنصرية كأحد أهم الآفات المجتمعية مما دفعهم إلي كتابة أعمال إبداعية من واقع الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع حتي ولو لم ينتمو إلي مجتمع السود، وجاءت رواية "تقتل طائرًا بريئاً" للكاتبة الأمريكية هاربر لي نموذجاً لهذه الفئة من الكُتاب.

خاتمة:

وتتناول أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الباحثة من خلال الدراسة .

